

**Cultural Shiism in Basra and the role of Imam Ali (as) in its
establishment (religious heritage)**

Hossain Farajullah' Asghar Montazaralqaem²

Received: 2021/04/06 | Accepted: 2021/06/08

(DOI): 10.22034/MTE.2021.5308

Original Article

P 131 - 152

Abstract

Basra has had a cultural beginning for the Shiites since its establishment, especially when Imam Ali (as) entered the city during the Battle of Jamal. However, it is rumored that the city of Basra is Sunni. As a result, the question arises that: what is the fact of Shiism in Basra (in cultural case) and what is the role of Imam Ali (as) in it?

Those who follow this issue closely and carefully believe that cultural Shiism in Basra, and especially in the level of religious and literary heritage, in addition to being original and rooted, has also been active in the cultural arena and has established a cultural path and reformed it, especially in connection with the scientific renaissance and cultural depth.

Imam Ali (PBUH) was the first to directly take the lead in this field, and those who played a role in establishing and consolidating the concept of culture, were influenced by him and his method. The culture had its own first-level men and founders, which started from Imam Ali (as) and after passing through his companions such as Ibn Abbas, Abi Al-Aswad Doli and others, had continued by their students who had this great responsibility and many of them were among the first Shiites.

Therefore, Imam Ali (as) after the Battle of Jamal could create a wilayah culture different from the previous culture. His active presence was a turning point and a starting point in the new cultural mentality that he developed in order to create an all-encompassing thought and mentality for the cultural and epistemological movement, and during his stay there, he presented a lot of information that was very effective in reshaping thoughts and beliefs and even advocacy.

If Imam Ali (as) had not been present as a teacher of generations of Muslims to encourage them to learn science and knowledge and its writing, the religious and literary heritage would not have been formed. If there were not scientific and epistemological revolution led by Imam Ali (as), this great scientific heritage would not have existed for Muslims in terms of quantity and content. Our research is focused on collecting and examining historical documents with their various aspects. Our method in this research is analytic-descriptive. We want to try to find Shiite culture, in the hope that we will find clear reasons in Shiite culture and see the role of Imam Ali (as) in creating it.

Keywords: Cultural Shiism, Basra Mosque, Imam Ali, Jamal Battle, Grammar, Linguistic and Quranic schools.

1 - PhD at Al-Mustafa International University, (History of Shiism). (corresponding Author). alhujaj70@yahoo.com

2 - Professor of History Department at the University of Isfahan . montazer@tr.ui.ac.ir

التشيع الثقافى فى البصرة ودور الامام على (عليه السلام) فى تأسيسه (الموروث الدينى)

حسين فرج الله^١ | اصغر منتظر قائم^٢

شناسه دیجیتال (DOI): 10.22034/MTE.2021.5308

تاريخ دريافت: ۰۰/۲/۲۱، تاريخ پذيرش: ۰۰/۴/۱۸

علمى - پژوهشى

ص: ۱۵۲/۱۳۱

المستخلص

مرت البصرة منذ عصر تأسيسها الأول وبالتحديد عند دخول الامام على (عليه السلام) إليها فى حرب الجمل بدايات ثقافية للتشيع، وعلى الرغم من ذلك فقد أشيع أنها سنيّة، فما هى حقيقة تشيعها ثقافياً؟ وما هو دور الامام على (عليه السلام) فى ذلك؟

المتتبع لهذا الموضوع بدقة تتولد لديه بعض القناعات، بان التشيع الثقافى فى البصرة وخصوصاً على مستوى الموروث الدينى والادبى، كان اصيلاً متجذراً فاعلاً فى الساحة الثقافية، مساهماً فى تأسيس الثقافة ومصححاً لمسارها، خاصة فيما يتصل بالنهضة العلمية، والعمق الثقافى.

وكان الرائد والمباشر الاول له هو الامام على (عليه السلام)، ومن تأثر به وبطريقته فى ارساء مفهوم الثقافة؛ فكان للثقافة رجالها ومؤسّسوها من الطراز الأول، بدءاً بالامام على (عليه السلام)، ومروراً باصحابه من امثال ابن عباس وابى الاسود الدؤلى وغيرهما، واستمراراً بمن تخرج على ايديهم ممن حمل هذه المسؤولية الكبيرة، وكان كثير منهم من الشيعة الأوائل.

وبهذا فقد استطاع الامام على (عليه السلام) فيما بعد وقعة الجمل ان يؤسّس لثقافة ولائيه مغايرة للثقافة السابقة، وقد شكّل حضوره الفاعل نقطة افتراق مفصلية ولحظة انطلاق حضارية فى تركيبه الذهنية الثقافية الجديدة التى رعاها تأسيساً وتوجيهاً؛ لتكون ذهنية مستوعبة للانطلاق الثقافى والمعرفى، ولقد تركت مدة اقامته هناك معطيات كبيرة، فكانت مؤثرة جداً فى اعادة تشكيل الافكار والقناعات وحتى الولاءات.

ان الموروث الدينى والادبى لم يكن لينطلق لولا وجود الامام على (عليه السلام) معلماً لأجيال المسلمين حاثاً إياهم على التعلّم وتقييد العلم بالتدوين، ولولا الفتح العلمى والثورة المعرفية التى قادها الامام على (عليه السلام) لما كان للمسلمين هذا التراث العلمى الهائل كمّاً ومضموناً.

لقد كانت حركتنا البحثية من صبة على تجميع الوثائق التاريخية بأوجهها المتعددة؛ لتكون هى الفيصل

١. دكتوراه تاريخ التشيع فى جامعة المصطفى العالمية (ص) قم، قم، إيران، alhuja70@yahoo.com

٢. استاذ قسم التاريخ فى جامعة اصفهان، اصفهان، إيران، montazer@itr.ui.ac.ir

في الا ستنتاج بعد إعطائها حقها من القراءة المندصفة والا ستنطاق العلمى، وكان منهجنا الذى اعتمدناه فى هذه الدراسة منهجاً توصيفياً تحقيقياً.

وقد اعتمدنا الموضوعية ونحن نحاول تلمس الثقافة الشيعية على أمل ان نجد ادلة واضحة فى الثقافة الشيعية، ونرى دور الامام على(عليه السلام) فى ايجادها هناك.

مفاتيح البحث: التشيع الثقافى، مسجد البصرة، الامام على، معركة الجمل، المدارس النحوية واللغوية والقرآنية.

المقدمة

تعدّ البصرة منذ الصدر الأول للاسلام حاضنة لقسم مهم من المسلمين من اتباع على (عليه السلام)، ولم تكن تتضح هناك معالم للتشيع الثقافي، اللهم الا عند بعض الاوائل ممن كان يعرف على (عليه السلام) عن قرب؛ إذ وجّه ابا الاسود الدؤلي وغيره من الصحابة الاوائل بوضع الأسس الثقافية الاولى كما سنرى، ومن ذلك الوقت انبثقت اول اشعاع معرفي لعل (عليه السلام) في البصرة، ومع ذلك فقد عمد البعض للتغطية على ذلك، فجاءت هذه الدراسة لتسلط الأضواء على التشيع الثقافي هناك ودور الامام على (عليه السلام) في تأسيسه؛ أملين ان نقدم قراءة موضوعية ومستقلة في ذلك.

لقد اتّضحت المعالم الاولى للثقافة الشيعية في البصرة بشكل لافت حين نزل على (عليه السلام) بين البصريين، وبالتحديد بعد انتهاء معركة الجمل، واكثر دقة في فترة تواجد الامام على (عليه السلام) في البصرة، وربما اضطررنا ان نتناول شيئاً من ارهاصات ما قبل هذه الفترة او ما بعدها بقليل، بما لم يخرجنا عن الحدود الزمانية المخصصة لهذه الدراسة.

ان جهدنا في هذه الدراسة يتركز على المكون التاريخي، وهو المتمثل في الكم الكبير من الموروث التاريخي نصوصاً ووثائق والتي جمعناها من اصول وشتات كثير متناثر بين سطور كتب التاريخ، واستفدنا منها بقراءة علمية موضوعية؛ فكانت النتيجة اننا حصلنا على رؤية متملك وضوحاً عن التواجد الشيعي الثقافي، وعن دور الامام على (عليه السلام) في ايجاده او توجيهه وتصحيحه، ويمكن بيان منهجنا بالتوصيف التالي: أثّرنا ان نعتمد ما امكننا من الدقة والا ست نطاق الحيادي الذي يسبر ما وراء الاسطور، ولذا تركّزت هذه الدراسة على الاستقصاء والجمع والبحث والتحليل وانتقاء نماذج وعينات قليلة للاستشهاد بها لاثبات مدعياتنا.

ومما لا شك فيه ان البصرة عانت من التمييز الطائفي والمذهبي طوال تاريخها، حيث تعرّضت لحملات واسعة من التشويه الممنهج سعياً الى طمس الثقافة الشيعية او تحييدها على الاقل، ومن هنا اصبحت هذه الدراسة ضرورية.

ان التشيع الثقافي في البصرة حقيقة تاريخية كان للامام على (عليه السلام) دور بارز في وجوده وتأسيسه، وقد دلّت على ذلك الشواهد العلمية الكثيرة بما لا يقبل الشك او التردد.

وعلى الفرضية الآنفة تساءلنا: ما حقيقة التشيع الثقافي في البصرة وما هو دور الامام على (عليه السلام) في تأسيسه؟

وهنا لا بد من التعريف ببعض الدراسات السابقة نذكرها باختصار:

اولاً: ما قدمه الدكتور جواد النصر الله بكتابه امير المؤمنين الامام على بن ابي طالب (عليه السلام) في

رحاب البصرة، مراجعة وتدقيق: مركز تراث البصرة، البصرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م. وقد اشتمل هذا الكتاب على الجانب الثقافي ودور امير المؤمنين(عليه السلام) في البصرة، وتتبع الباحث فيه كل شاردة وواردة في هذا المجال، ما اغنانا في كثير من الموارد، وقد رجعنا من خلاله الى امهات المصادر التي اعتمد عليها. ثانياً: ما قدمه الباحث نزار المنصوري تحت عنوان النصرة لشيعه البصرة، وقد نشره مركز البصرة للدراسات والبحوث وطبع في مكتبة مدبولي في القاهرة فاعتمدنا منه الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م، وقد ذكر الكاتب في قسم منه اشارات كثيرة للتشيع الثقافي هناك.

ثالثاً: ما قدمه المستشرق شارل بلات في كتابه الجاحظ في البصرة وبغداد و سامراء، ترجمة: ابراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، لسنة ١٩٦١، حيث انفتح على تناول الجانب الثقافي للمجتمع البصري، وهو وان لم يكن منصفاً في كثير مما طرحه الا انه قدم صورة جيدة عن البصرة، تؤثّق بعض تاريخها، وقد استفدنا من اشاراته في كثير من الاحيان؛ لتكون نقطة انطلاق نحو الموضوعات الهامة في هذه الدراسة.

رابعاً: ما قدمه الاكسندر اداموف في كتابه ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، الذي صدر في سانت بطر سبورغ عام ١٩١٢م، وفيه اشارات قليلة جداً عن التشيع الثقافي في البصرة، على ان الباحث قد تناول كل ما يتعلق بولاية البصرة من النواحي الجغرافية والادارية والاقتصادية والصحية والتاريخية وأوضاع السكان وغير ذلك. والمهم فيه انه قد اشتمل من بعض المحققين على مقدمة طويلة بلغت اربعاً وعشرين صفحة وتناولت وصف البصرة وجذور التشيع فيها ونصرة اهلها لاهل البيت عليهم السلام، وهي نافعة الى حد ما في هذه الدراسة.

خامساً: ما قدمه الباحث مصطفى سلطاني في مقالة بعنوان «تشيع در قرون نخستين» (التشيع في القرون الاولى)، قامت بنشرها مجلة تاريخ الاسلام في جامعة باقر العلوم بقم، في السنة الثالثة، خريف ١٣٨١ش، تحت ١١، من ص ٢٥ - ٧٠. وقد نشرها المؤلف في فصل خاص ضمن كتاب مشترك بينه وبين الباحثين حميد ملكيان وامير جوان. وكانت مقالة جيدة، ونحن وان كنا قد عثرنا عليها متأخرين الا اننا استطعنا الاستفادة منها في بعض الموارد.

المبحث الاول: التاريخ الثقافي للتشيع في البصرة

يمكن ان يعرف التاريخ الثقافي على انه مجموعة من الاسهامات والابداعات التي تميّز امّة على اخرى؛ وذلك بتطوير ذواتهم و صقل شخصياتهم واظهار مواهبهم للوصول الى الابداع وفهم الحياة، وهكذا يولد

التاريخ والارث الثقافى للمجتمعات فى اى بقعة جغرافية.

ومن تلك البقاع الجغرافية التى ترك مجتمعها ارثاً ثقافياً هائلاً ومتنوعاً، هى جغرافيا البصرة؛ اذ برزت فيها شخصيات ثقافية اسهمت فى رسم الخارطة الثقافية للتشيع فى البصرة بصورها المتنوعة. وعليه فان العوامل الثقافية لدعوى التشيع ستكون كفيلاً بتحديد التعريف المفصل للتاريخ الثقافى على المستوى العملى.

ويمكننا ان نقول ان للبصرة وجوداً ثقافياً مميزاً حتى عدت من اذشط الامصار الاسلامية فيما يتصل بالعلوم والمعارف والفاعلية على الصعيد الدينى والادبى والسياسى.

وقد برزت البصرة قديماً باعتبارها أول مركز حضارى فى الفترة التى سبقت دخول الإسلام إلى بلاد وادى الرافدين، حتى أخذت فيما بعد ملامح نهضتها الثقافية والحضارية والعلمية والادبية كاملة، إذ أن سوقها الشهير المربد كان منتدى كبيراً للشعر واللغة والحديث والنحو والأخبار: «ففى هذا الوسط السوقى كان الشعراء يفدون لتلاوة قصائدهم فينقل البدو الى النخاة واللغويين ورواة الشعر وحفظته الشواهد والكلمات النادرة وقواعد اللغة البدوية الجميلة.» (شارل بلات، ١٩٦١م ص ٣٦)

وهذا نشاط ثقافى تعمق فيما بعد ليكون مدرسة متفردة بقيت قروناً عديدة على صعيد اللغة والفكر والأدب، ولم تضمحل إلى يومنا هذا، وإن على صعيد المدرس النحوية مثلاً، التى أصبحت المدرس الأم للنحو العربى لدى كل العرب الناطقين بهذه اللغة، وفى مختلف البلدان العربية، وحتى غير العربية لدى الناطقين بها، إضافة إلى الأهمية القصوى للقرآن الكريم؛ إذ نال من العناية الفائقة ما لم ينله أى كتاب آخر فى كل العالم تعلماً وحفظاً وتلاوة وتفسيراً، وهذا الشئ يتكرر أيضاً مع الحديث النبوى، وما تفرع عن القرآن الكريم والحديث الشريف من علوم ومعارف.

والملفت ان كل الجوانب الثقافية التى اشرنا اليها كان لها رجالها ومؤسسونها من الطراز الاول من اصحاب امير المؤمنين (عليه السلام) كابن عباس وابى الاسود الدؤلى، وقد تخرج على ايديهم رجال حملوا هذه المسؤولية الكبيرة، وكان كثير منهم من الشيعة الاوائل كما سنرى.

وما إن تذكر البصرة فى عهودها الاولى حتى يتبادر الى الذهن انها اول حاضرة اسلامية بناها المسلمون خارج حدود الدولة الاسلامية، بل اول ما يتسارع الى الذهن توصيفها بانها مدينة النخاة واللغويين والمتخصصين بفنون العربية، بالاضافة الى كونها حاضرة الادباء والشعراء والفقهاء والمتصوفين والمتكلمين، وما الى ذلك من اوصاف كثيرة تؤكد تميزها العلمى والادبى والثقافى.

ولقد بقيت هذه المدينة زاخرة بثقافتها المتعددة وعلومها المتنوعة وفنونها المتميزة مقترنة برجالها الافذاذ من الاوائل والمتأخرين؛ لتكون مركزاً للاشعاع الحضارى والفكرى والثقافى على مر العصور.

ومدينه بهذا الحجم من الثقافه والعلم والفكر والادب لا بد ان تحظى باهتمام المتخصصين وذوى الشأن؛ ولهذا فقد كانت من ابرز المدن عطاء على مستوى موروثها اللغوى والشعرى والنثرى، وما يزال هذا الموروث على طاوله البحث لجمعه وفرزه ودراسته والوصول من خلاله الى تاريخ البصره الثقافى، ونحن هنا نريد ان نستوضح من بين ذلك حجم الموروث الثقافى الاشيعى ورجاله الاوائل كمّاً ونوعاً؛ لنعرف الى اى مدى كانت مساهمه التشيع فى رسم خارطة الثقافيه البصريه والجنوبيه فى العهود الاولى. ومن هنا يحتّم علينا البحث الموضوعى التوقف ملياً عند الحياه الثقافيه لحاضره البصره (موضوعه الدراسه)، ودور على(عليه السلام) فيها.

وكان المسجد الجامع فى عهده الاول مكاناً للعباده، ومركزاً لاتخاذ القرارات الحساسه التى تُعنى بشؤون هذه الولايه الاسلاميه، وكانت الانطلاقه الاولى للحياه الثقافيه الاسلاميه منه. وعلى ما يبدو فقد تحوّل شيئاً فشيئاً الى استيعاب القضايا الاجتماعيه وحلّ النزاعات التى كانت تنشب بين القبائل، وكان مركزاً مهماً للمصالحه بين الاحياء.(انظر: الزمخشري، ١٤١٢ق - ١٩٩٩م، ج ٤، ص ٣٧٦). بل تعدى دوره الى اكثر من ذلك حين تجرّأ بعض فجعله مكاناً للترويج عن النفس (القالي، ٢٠٠١م، ص ٥٩١)، كما برزت فيه ظاهره سلبيه تمثلت بظهور (القصاص)، حتى ان احد منتقديهم قال: اكثر الناس كذباً القصاص والسؤال، وقد عمد على(عليه السلام) الى اخراجهم من المسجد (انظر: ابن الجوزى، ١٤٠٩هـ - ص ٩١). ومع ذلك فقد: كان لهم حلقات لا تُحصى (آدم متر، فاقد سنه الطبع، ج ٢، ص ١٢١). وثمه ملاحظه جديره بالاهتمام وهى ان الفتره التى مكث فيها الامام على(عليه السلام) فى البصره قصيره جداً قياساً بعطائه الشّر الذى تركه هناك، حيث دخلها لاول مره عند قدومه لمعركه الجمل (ابن خياط، ١٩٩٥م ص ١٠٨)؛ (الطبرى، ١٩٦٧م، ج ١١، ص ٥٠٧).

ويختصر ابن سعد مدّه اقامته بخمس عشرة ليلاً (ابن سعد، ١٤١٤ق/١٩٩٣م، ج ٣، ص ٢٣). وتوجد روايات تشير الى انها بلغت الشهرين او تجاوزتهما بقليل (انظر: ابن قتيبه، المعارف، ١٩٩٢، ص ٢٦٣). وعلى الرغم من قصر تلك الفتره الا انه استطاع توظيف المسجد الجامع لبعث ثقافته التى اثرت فى البصريين، وأدّت دوراً ملحوظاً فى الحياه الثقافيه الى يومنا هذا، ومن المؤكد ان علياً(عليه السلام) قد سلك نهج النبی صلى الله عليه وآله يوم جعل من المسجد منطلقاً ثقافياً ومعرفياً ودينياً وحتى إدارياً. لقد شكل مجىء الامام على(عليه السلام) الى البصره نقطه افتراق مفصليه ولحظه انطلاق حضاريه فى تركيبه الذهنيه الثقافيه الجديده التى وجهها؛ لتكون ذهنيه مستوعبه للانطلاق الثقافى والمعرفى وان كانت قد تأثرت بانماط مغايره او اقل مستوى سبقت مجيئه الى البصره، وقد كانت هذه الصدمه مؤثره جداً فى اعاده تشكيل الافكار والقناعات وحتى الولاءات، وهذا ما يفسر لنا وجود اعداد كبيره من شيعة البصره

الاوائل الذين بدؤوا يأخذون عن علي (عليه السلام) معالم الدين لا باعتباره طقوساً تعبدية بل باعتباره قطب الجذب المعرفي ومنبع الانطلاق الثقافي، وهذا ما اعطى فهماً للاسلام بشموليه لا تقتفى بالجانب العبادي الطقوسي، بل يأخذ منحى الوصول الى اهداف التشريع ومقاصد الدين الحقيقية، وبهذا فقد اكتشف البصريون والوافدون الى البصرة جنوداً تحت قيادة الامام علي امير المؤمنين اكتشفوا محوراً وجوده كونه الاقرب الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم باعتباره تلميذه الاول، وراحوا يتأملون في اختصاصه (عليه السلام) بما لم يختص به غيره، وهذا ما تدل عليه كثير من المرويات، ومنها رواية البلاذري عن معاذة العدوية، قالت: «سمعت علياً على منبر البصرة يقول: أنا الصديق الأكبر، أمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم.» (البلاذري، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٤٦). وكانت العدوية هذه قد تصدّت لتعليم النساء في البصرة كما يبدو من الرواية الآتية، خصوصاً وان ابن سعد يروى انها شوهدت: محتببة والنساء حولها (ابن سعد، ج ٨، ص ٣٥٢). وبهذا فقد تكون من النساء اللواتي شاركن في انماء الحركة الثقافية الشيعية، لا سيما وانها عرفت بميلها لعلی (عليه السلام).

فتبلور تأسيس لثقافة ولاتية مغايرة للثقافة السابقة التي وضعت على عهد الخلفاء الثلاثة، وقد تنبّه بعض البصريين الى ذلك، ومنهم الجعدة بن بعة حين سأله والامام علي منبر البصرة: «أيهما افضل انت ام ابو بكر وعمر؟ فقال: عبدت الله قبلهما ومعهما وبعدهما.» (العلوي، ١٤٠٩هـ، ص ١٠). ومنه نفهم ان ثقافته المفاضلة او ما يعرف بالفضيل التي بدأت - على ما يبدو - قبل هذا الوقت كانت قد اخذت مداها منطلقاً في الاوساط البصرية، وقد اشار اليها ابن ابي الحديد بالقول: «ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً وكان من قبل من المتوقفين، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنّفاته. وقال في كثير من تصانيفه: ان صح خبر الطائر فعلى أفضل.» (ابن ابي الحديد، ١٩٥٩م، ج ١، ص ٨).

وقد لاحظنا ظاهرة تفضيل امير المؤمنين علي (عليه السلام) على غيره في البصرة تأخذ صدى واسعاً حتى ان ابن ابي الحديد المعتزلي يسهب نوعاً ما في ذلك (المصدر نفسه).

وتأسست خلال تلك الفترة وما بعدها مدارس علمية وفكرية وادبية أصل لها علي (عليه السلام) خلال وجوده في البصرة، وكان من ابرز تلامذته هناك ابو الاسود الدؤلي وعبد الله بن عباس اللذين أوجدا جيلاً من التابعين وكانوا على خطهم في تفضيل علي (عليه السلام) كيحيى بن المعتمر ومن هو على شاكلته، وقد ترك هؤلاء تلامذة كثيرين: «وكانت هناك حلقات كثيرة للفقهاء والنحو والتفسير والحديث والتاريخ، وقد سميت هذه الحلقات باسم اعلام المسلمين الذين يرتادون المسجد» (آدم متز، ج ٢، ص ١٢١)، ومن هؤلاء من عرف بالتشيع لعلی (عليه السلام) سواء من الصحابة او التابعين.

فبدأ بذار التشيع في البصرة ومن الم سجد بالتحديد حين اقتنع جمهور كبير من الناس بان علياً(عليه السلام) هو افضل واعدل واعلم من الخلفاء الذين سبقوه، او بدؤوا يسمعون لاذهانهم ان تناقش افضليته على(عليه السلام) عليهم، وهذا من ابرز المعالم الدالة على التشيع الثقافي الذي انطلق من المسجد الجامع في البصرة.

وبعد تسنّم الامام علي(عليه السلام) مقاليد الخلافة انتعشت الحياة العلمية وازدهر الوجود الثقافي، حيث استفاد المسلمون من امير المؤمنين(عليه السلام) ثقافياً تحت ظل وجوده خليفة، خاصّة وانه كان قد هياً قبل خلافته مجموعة من تلامذته ممن فتحو الفتوحات العلمية، فكانوا مؤهلين للتلقى العلمي والتتلمذ التخصصي والتطلّع الثقافي سواء في البصرة او حتى في الكوفة فيما بعد؛ حتى بات تدارس القرآن وحفظه وفهمه الشغل الشاغل المحرك للعقول، والمالي اذهان الناس بالمعرفة والثقافة.

وما إن استقرت البصرة نوعاً ما في اواخر القرن الاول الهجري حتى اتضحت جهود الامام علي(عليه السلام)، ليظهر: «دورها الذهبي؛ لان اهلها بعد ان انطوا على انفسهم وجدوا في الدراسات الدينية وسيلة لمقاومة الامويين، او على الاقل للصمود في وجه تيارهم الجارف.» (بلات، ص ١٣٢).

و«يحقّ للبصرة ان تعتزّ ببايوائها في اوائل تأسيسها بصورة نهائية او مؤقتة عشرات الصحابة المنتسبين لاقوام شتى، وقد خلق وجود هؤلاء الصحابة في البصرة جواً دينياً يعسر تحديده، كان فيما بعد بدء انطلاق فعالية قوية ممثلة في الدروس القرآنية أولاً، والحديث ثانياً، ثم بالابحاث اللغوية ثالثاً.» (المصدر نفسه، ص ١٢١).

وكثيراً ما كان المحدثون يمارسون القراءة (الشجری، ٢٠٠١م، ج ١، ص ٩٠). والاملاء (المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٥). في جامع البصرة على شيوخهم، إذ نجد عند الشجری نماذج عديدة من ذلك.

وفي الفترة التي أقام بها علي(عليه السلام) في البصرة فقد أسس لثقافته شيعية هناك، وقد وجدنا في كتب التاريخ الخاص والعام من ذلك نماذج كثيرة، ونكتفي منها باستقصاء احد الباحثين — ضمن دراسة واعية — معطيات الفترة التي امضاها امير المؤمنين في البصرة بعد معركة الجمل. (انظر: النصر الله، جواد، ٢٠١٤م، ص ١٢٥ وما بعدها).

ومن اهم المعطيات والانجازات التي عمل عليها ونجح فيها — على الرغم من قصر المدة التي تواجد فيها هناك — هي مواعظه البليغة التي أثّرت تأثيراً فاعلاً في المجتمع البصري، فكان يدخل الاسواق ويحاور الباعة ويعظهم ويذكرهم (انظر: المفيد، الامالي، ١٤١٤هـ ص ١١٨ - ١٢٠).

كما وقد استقصى هذا الباحث (النصر الله، ٢٠١٤م ص ١٦١ — ١٦٨). خطب الامام(عليه السلام) التي تمثلت في اجابات لاسئلة في موضوعات مختلفة طرحها عليه البصريون في البصرة، ومنها في علم الكلام،

فكان يجيهم بخطب طويلة لا يسع المجال لذكرها في هذه العجالة، لكنها على العموم تؤشر الى ان امير المؤمنين (عليه السلام) قد صحح مسار جانب من علم الكلام والاخلاق والحديث وغيرها، وبذلك فقد اسهم في التأسيس لثقافة شيعية اتسمت بالتنوع الفكري.

ويضاف الى ذلك تأثر المجتمع الجنوبي بعلي (عليه السلام)، خصوصاً وأنه لمس صدق اخباراته التي أدلى بها هناك، ومنها يوم رأى مروان بن الحكم أ سيراً في الجمل؛ فأخبر بفترة حكمه على الاشام ومصر وكانت ولايته عليهما ثمانية اشهر او ستة، حيث قال: «ليحملن راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة الكلب أنفه» (ابن سعد، ج ٥، ص ٣٢؛ ابن الطقطقي، ١٩٩٧م، ص ١٢١). وقد رواها الزمخشري بتفصيل موافق لنهج البلاغة. (الزمخشري، ج ٥، ص ١٩٢).

وقد استقصى الدكتور (النصر الله، ص ١٧٠ - ١٨٣). اخبارات عديدة غير الاخبار الانف. وهذا الامر معروف وشائع لدى المؤرخين والباحثين المنصفين، ومنهم ابن ابى الحديد الذي يؤكد ان صدق تلك الاخبار قد وقعت في زمانه (ابن ابى الحديد، ج ٨، ص ٢١٨). ونعتقد ان هذه الاخبار المتعددة كان لها اكبر الاثر في ترسيخ التشيع عند المجتمع العراقي الجنوبي الذي تحفرت في ذاكرته شخصية علي (عليه السلام)، بحيث بات من الصعب تناسيها مهما مضى الزمان، وقد اعطت مردوداتها الايجابية في ترسيخ دعائم التشيع هناك منذ زمن مبكر.

المبحث الثاني: العوامل الثقافية لدعوى التشيع في البصرة

من الجوانب المهمة التي ينبغي الوقوف عليها هي العوامل الثقافية التي نزع من خلالها ان التشيع الثقافي في البصرة كان له حضور يُذكر، وكان للامام علي (عليه السلام) دور رئيس في تأسيسه هناك، وهذه النقطة ستكون لنا معياراً نقف من خلاله على الموروث الثقافي الشيعي وحجمه ورجاله الاوائل. وقبل ذلك لا بد ان نشير الى ان هناك عوامل اخرى قد تكون دالة على التشيع الثقافي، وهي على سبيل المثال وجود شخصيات كثيرة من اصحاب امير المؤمنين (عليه السلام)، كان لها دور في تأسيس الحالة الثقافية هناك.

وقد احصت الكتب التاريخية والرجالية وغيرها كثيراً من هؤلاء، بالاضافة الى الاستقصاءات التي قام بها بعض المتأخرين، حيث أحصى من اصحاب علي (عليه السلام) هناك اثنين وستين رجلاً (انظر: المنصوري، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ١٣٥ - ٢٩٧).

ونقطة اخرى جديرة بالاهتمام هنا ايضاً، وهي حركة التنوع الثقافي التي غزاها الامام علي (عليه السلام) من علمه بعد ان وجد لدى البصريين ذهنية يمكن ان يطورها؛ لتتحمل مدارك فكرية وعقلية وعلمية، ما

جعلها مهيتة لتلقى مباحث علم الكلام فهماً وتفاعلاً وتطوراً، وتدلل على ذلك مجموعة من خطبه التي فصل فيها الحديث عن التوحيد والعدل والصفات الالهية والمطالب الدقيقة التي اصبحت اساساً قوياً لعلم الكلام، وأعطت للفكر الاسلامي قوة جدلية في عدم الذوبان بالوافد الفلسفي المترجم من الحضارة الفارسية واليونانية والهندية، وهذا ما فهمه ايضاً السبحاني من كلام على (عليه السلام): «كان على (عليه السلام) على ما يبدو قد شعر ببدايات قوية لعلم الكلام هناك، وخصوصاً في مسألة الايمان والكفر التي طرقتها المرجئة ضمن نطاق ضيق يومذاك.» (السبحاني، ١٤١٦م، ج ٣، ص ٨١).

وقد استقصى احد المعاصرين (النصر الله، ٢٠١٤م ص ١٦١ - ١٦٨). خطب الامام ضمن اجوبة رجال سألوه في البصرة عن مواضيع مختلفة، ومنها علم الكلام، فكان يجيبهم بخطب طويلة لا يمكن ايرادها هنا، لكنها على العموم تؤشر الى ان امير المؤمنين (عليه السلام) قد ارسى مسار قواعد علم الكلام الصحيحة ومعرفة معيارية الحديث والخطوات التنظيرية لارساء الاخلاق وغيرها، وبذلك فقد اسهم بشكل او بآخر في التأسيس لثقافة شيعية متكاملة.

اما العوامل الثقافية التي اردنا ان نسلط عليها الضوء في هذا المبحث المقتضب، فستنحصر بالموروث الثقافي البصري، وبجانبين منه، هما: الموروث الديني والموروث الادبي.

الموروث الثقافي

للبصرة سمتان؛ سمة حضارية تمتد الى حضارات بلاد وادي الرافدين ومنها الحضارة السومرية، وسمة شعرية تتصل بالمربد الذي كان الشعراء يتوافدون عليه، ويجدون هناك النقاد ومتذوقي الأدب الذين يميزون جيد الكلام من غثه.

وهذا ما يفسر الوجود اللافت للثقافة البصرية التي أنتجت كمّاً كبيراً من المؤلفات في شتى صنوف العلم وفنون المعرفة بعدما بذر فيها امير المؤمنين على (عليه السلام) البذور العلمية والمعرفية، وترك فيها تلامذته متفوقين، وقد كانوا سابقين في تحصيل العلوم والمعارف بذهنيات وقادة شحذها الامام فأسس للمدرسة البصرية. وهذا الوجود نما وترعرع سريعاً في مسجد البصرة الكبير، الذي كان له شأنه بوصفه اكبر جامعة لا ينفك المسلمون عن إعمارها بالصلاة والموعظة وأخذ الأحكام الشرعية وحفظ القرآن الكريم وتفسيره.

ان من اهم المهام التي اضطلع بها مسجد البصرة القضايا العلمية والثقافية، إذ صار اشبه بجامعة مصغرة يجتمع فيها الاساتذة من مختلف الاختصاصات مع طلبتهم، وتشكلت عدة حلقات كحلقة النحو التي

شکلت فيما بعد مدرسه عريقه لها خصائصها التي تميزت بها، إذ عرفت البصرة بمدرستها النحوية (انظر: خديجة الحديثي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٢٥ - ١١٠).

ومن المعروف لدى كثيرين ان البصرة تعد اول مدينه اسلاميه احتضنت بواكير علم النحو واللغة والشعر والنثر الفني والعروض والتاريخ بمؤرخيه ونصوصه التاريخيه؛ ليمثل جزءاً من موروثها الثقافى بشكل عام. كما كانت مهداً لأبجديات العلوم العقلية والفلسفيه والتي مثلتها مدرسه الاعتزال (انظر: مقدمه محقق كتاب ابن قتيبه، المعارف، ١٩٩٢م، ص ٥١).

وقد حمل رجال من اتباع على (عليه السلام) ومن المحسوبين على التشيع يومذاك على عواتقهم جزءاً كبيراً من كل ذلك، وهذا ان دلّ فانما يدل على حضور التشيع هناك. وللتدليل على الأهميه القصوى لحاضره البصرة العلميه والثقافيه والدينيه لا بدّ أن نشير إلى أهم جانبين من الموروث البصرى، وهما الموروث الدينى والموروث الادبى وما ينطوى تحتها من العلوم والمعارف والآداب التي ازدهرت فى هذه المدينه:

ألف: الموروث الدينى

المتتبع للموروث الدينى فى البصرة يجد فيه بصمات الامام على (عليه السلام) واضحه ما يعنى انه لولا وجوده معلماً وحائثاً على التعلم وتقييد العلم بالتدوين حتى لا يضيع كما ضاع من قبل فى زمن الخلفاء الذين سبقوه.

فللحق والانصاف نقول لو لا الفتح العلمى والثوره المعرفيه التى قادها الامام على (عليه السلام) لما كان للمسلمين هذا التراث العلمى الهائل كما ومضمونا.

لقد احدث الامام على (عليه السلام) على قصر فترة وجوده فى البصرة ثورة معرفيه كبرى لم تكن لتأخذ ابعاد نجاحها لو لم يكن هناك تلامذه و(جنود مجهولون ومعلومون) يأخذون على عواتقهم تدوين تلك العلوم وتدريسها وتعليمها لابنائهم وتلامذتهم جيلاً بعد جيل وطبقه بعد طبقه.

ان هذه الثوره بقيت ماثله فى الذاكره البصريه وتناقلتها الاجيال جيلاً بعد جيل، وهذا ما جعل المعتزله يستفيدون منها، فراحوا يؤسسون لهم منظومه فكريه وقناعات حاولت ان لا تجافى الحق الذى اوضحه على وابناؤه (عليهم السلام).

١. علوم القرآن

تعد علوم القرآن من الموروث الثقافى الدينى الذى ولد مبكراً فى البصرة، وقد نبه اليها الامام على (عليه السلام) بمنهجيه علميه دقيقه، فوضع الخطوط العامه لهيكليه علوم القرآن، كما فى قوله المختصر الذى

شرحه المتخصصون في علوم القرآن بكتب ومجلدات عديدة: «... كتاب ربكم فيكم: مبيّن حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسراً مجمله، ومبيّناً غوامضه...» (انظر: الامام على بن ابي طالب، نهج البلاغه، ١٤١٢هـ، ج١، ص٢٥).

واضافه الى ذلك فان المسلمين قد شعروا بالحاجه الى معرفه علوم القرآن بعد اتساع دائره الفتوحات واختلاطهم بشعوب وامم اخرى، وتأثرهم بثقافتهم ولغاتهم، وعجمه ألسنتهم، فبرز على إثر ذلك ثله من المسلمين الواعين بغية الحفاظ على ما كان يتهدد القرآن الكريم من خطرالتحريف. وكان الإمام على(عليه السلام) قبل ذلك اول الداعين في البصرة لصيانته القرآن الكريم من التحريف، وقد أمر أبا الأسود الدؤلى بوضع بعض قواعد اللغة حفاظاً على سلامتها، وبهذا فقد كان: «أول من وضع الأساس لعلم إعراب القرآن» (الشيرازى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج١، ص٣٧)، كما انه: «أول من نوعه وقسمه، وأملى ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثلاً يخصه.» (حسن الصدر، فاقد سنه الطبع، ص٣٣٣ و٣١٨).

وقائمه الأسماء المؤسسين لعلوم القرآن أو المصنفين كتباً فيها، أو المشتغلين على إنضاج علوم القرآن قائمه طويله، نلمح الى بعضهم بحسب ما تقتضيه ضرورة البحث.

وهناك من كان موسوعياً وقد صنف في اكثر من تخصص ومجال من امثال عبد الله بن عباس الذى كان له دور كبير يتضح للمتتبع من خلال اسهاماته الجليله في الثقافة القرانية التى كان جزءاً لا يتجزأ منها؛ حيث: «تصنيفه مصحفاً، وعلى الرغم من مكثه في البصرة بصفه حاكم في خلافة على بن ابي طالب (٣٦ - ٤٠هـ) فان مصحفه لم ينتشر انتشاراً كافياً.» (بلات، ص١٢٣ - ١٢٤).

وكذلك ابو الاسود الدؤلى وهو ايضاً من تلامذة الإمام على(عليه السلام) بعد ان قرّر نقط المصحف (انظر: البلوى، ٢٠٠٩م، ج١، ص١٩٠). كما كان ليحيى بن يعمر الذى قال عنه ابن خلكان: هو احد قراء البصرة... وكان عالماً بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب واخذ النحو عن ابي الاسود الدؤلى (ابن خلكان، ٢٠٠١م، ج٦، ص١٧٣). وكان الحجّاج قد نفى ابن يحيى بن يعمر(الذهبي، ١٤١٣هـ، ج٦، ص٥٠٣).

ومن قراء اهل البصرة الذين وقفوا الى جانب على(عليه السلام) وناصروه هو مسعود بن فدكى التميمي الذى جعله امير المؤمنين(عليه السلام) على قراء اهل البصرة (انظر: المنقرى، ١٣٨٢ق، ص٢٠٨).

وهناك عدد غير قليل من القراء المتقدمين والمتأخرين لكننا نكتفى بمن ذكرنا توكيلاً للاختصار هنا. وبهذا وغيره يتجلى لنا وجود شواهد قوية على نشاطات الشيعة الثقافية متأثرة بالمدّ المعرفى القرآنى للامام على(عليه السلام).

وأما على مستوى التفسير والتأويل فقد كان للجهد العلمى الكبير الذى بذله الامام على (عليه السلام) واتباعه اعظم الاثر فى ردّ التأويلات الخاطئة والفهم المغلوط لمعانى الايات القرآنية؛ مما انتج تراثاً تفسيرياً ضخماً، اصبح فيما بعد عماداً مهماً من اعمدة الفكر الاسلامى، ومصدراً قوياً من مصادر ثقافة المسلمين، ثم تراكم حتى اصبح علماً واسعاً، يفتح على مجموعة علوم اخرى.

وبرع عدد من الصحابة الأوائل فى التفسير والتأويل، وهم الذين تتلمذوا على يد على (عليه السلام)، واستفادوا من عمقه العلمى، وفهمه الدقيق لروح النص القرآنى، ودقّة تطبيق المفهوم على المصدق الواقعى المتمثل بأشخاص وقوى فاعلة فى الخارج، ومن اشهرهم: عبد الله ابن عباس (انظر: حسن الصدر، ص ٣٢٢)، وكان: «اول من املى فى تفسير القرآن من شيعه امير المؤمنين...» (المصدر نفسه، ص ٣٢٣).

٢. علوم الحديث

لقد فتح الامام امير المؤمنين (عليه السلام) جبهة جديدة هى جبهة الحديث النبوى الشريف، وفسح المجال امام تلميذ الرسول وتلميذه عبد الله بن عباس؛ لينظر الخوارج ويحاججهم، فازدهر الحديث، خاصة وان الامام امير المؤمنين (عليه السلام) منذ اول يوم تولّى فيه الخلافة كان حريصاً على ان يحيى ثقافة الحديث بين المسلمين بعد ان كان قد منع فى ادوار سابقة على عهد الخلفاء الثلاثة، ولهذا فقد بدأ امير المؤمنين (عليه السلام) محاولاته الجادة لإحياء هذه الثقافة من المدينة، حيث نجد اشارة الى ذلك، ثم واصل ذلك بعد معركة الجمل مباشرة؛ وذلك لانه قد انشغل بالفتن التى دارت رحاها فى المدينة، اما حين انتقل الى البصرة فقد كان انشغاله باصحاب الفتنة فيها اكبر.

ومن الاصلاحات التى اهتم بها هناك، وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما فى أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال (عليه السلام) كلاماً مفصلاً حول الحديث: «إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً...» (الامام على (عليه السلام)، ج ٢، ص ١٨٩).

وهو نص طويل مفصّل كان فى غاية الاهمية العلمية، كما انه يعدّ النص التأسيسى الاول لكل هيكليّة علوم الحديث التى نمت وترعرعت وازدهرت ايّما ازدهار من خلال هذا التأسيس العلمى الذى بدأه الامام عليه (عليه السلام).

ومن هنا فقد عمد معاوية الى طمس دور على (عليه السلام) فى التأسيس لثقافة الحديث فى البصرة، وهو ما اشار اليها المستشرق بلات فى وضع الحديث؛ إذ يقول: «لم يقف معاوية عند حدّ وضع الاحاديث ضد على والعلويين، بل وضعت الاحاديث للاشادة بصفات عثمان» (بلات، ص ٢٦٥).

٣. الزهد والتصوف

تبدأ رحلة الزهد الحقيقية في البصرة مع الامام امير المؤمنين(عليه السلام)، حيث كان لها جذور وممارسات خاطئة قبل تواجده هناك، ويبدو انه اراد تصحيحها في جماعة الزهاد والمتصوفين بالبصرة، وقد يدل على ذلك قول: العلاء بن زياد لعلی(عليه السلام): يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصماً، ليس العباءة وتخلّي عن الدنيا، قال علیّ به، فقال له: يا عدوّ نفسه، لقد استهّام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك. قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك! قال: «ويحك! إنني لست كأنت؟ إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كي لا يبيع (لا يتبع) بالفقير فقره». (الزمخشري، ج ٥، ص ٣٣٨). «فما قام علي(عليه السلام) حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءة» (ابن ابی الحديد، ج ١١، ص ٣٦).

وقد اثبت علي(عليه السلام) ذلك عملياً حين: «دخل على بيت مال البصرة في جماعة من المهاجرين والأدصار، فنظر الى ما فيه من العين والورق، فجعل يقول: يا صفراء، غرّ غري، ويا بيضاء غرّ غري، وأدام النظر الى المال مفكراً، ثم قال: اقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة... وقبض ما كان في معسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه، وأخذ لنفسه كما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه وأهله وولده خمسمائة درهم، فأتاه رجل من أصحابه فقال: يا أمير المؤمنين إنني لم آخذ شيئاً، و خلفني عن الحضور كذا، وأدلى بعذر، فأعطاه الخمسمائة التي كانت له». (المسعودي، ١٤٠٩هـ ج ٢، ص ٣٧١).

وبسلوك الامام امير المؤمنين هذا مع اهل البصرة فقد اسس لثقافة شيعية في الزهد والتصوف المعتدل وصح مسار الزهاد والمتصوفين وهناك نماذج عديدة من الشيعة لا يسع المجال لذكرها هنا.

باء: الموروث الادبي

كلما امعن الدارس بالبحث في الموروث الادبي العراقي شعراً ونثراً يجد في تاريخ البصرة الادبي كمّاً كبيراً جداً من النتاج المزهري. وقد كان لحضور الامام علي(عليه السلام) الادبي أيما تأثير على اولئك الشعراء والادباء البصريين.

١. الشعر

ينبغي ان نلفت الى ان الامثلة الشعرية التي سنوردها هنا هي بمثابة نماذج يسيرة جداً من النتاج الشعري لتلك الفترة، وهي نماذج تعجّ بالمفاهيم الشيعية التي كانت تتداول يومذاك، والمتأثرة بشخصية الامام امير

المؤمنين؛ ولهذا وفي هذه الفترة بالذات وعلى ارض عاصمته الجنوب العراقي تلاحظ بوضوح بعض المفردات من مثل مفردة (الوصي) او (الامام) او (الولي) وأمثالها سواء عند اتباع علي(عليه السلام) او عند خصومه الذين وقفوا مع الناكثين ضده، وقد تكررت كلمة الوصي في معركة الجمل وما بعدها بقليل سبع عشرة مرة من مجموع النصوص الواردة يومذاك عدا كلمات أخرى مثل (الإمام) و(الولي) و(الوزير) وما شابههما (انظر: حسين فرج الله وآخرون، الجزء الثاني).

وهذا ما يؤكد لنا ان هذه المفردات كانت متداولة في وقت مبكر هناك كما يؤكد بالضرورة تأثير البصريين بشخصية علي(عليه السلام) وبالتالي بثقافته الحاضرة فيهم، وها هو الصحابي البدري أبو الهيثم بن التيهان، يفصح من هناك عن رأيه بالقول:

إِنَّ الْوَصِيَّ إِمَامُنَا وَوَلِيُّنَا *** بَرِحَ الْخَفَاءُ وَبَاحَتِ الْأَسْرَارُ (ابن ابى الحديد، ج١، ص ١٤٣ - ١٤٤)

اما في جبهة الخصوم لعل(عليه السلام) فمن الغريب حقاً أن يقف البعض منهم بوجهه، مع علمهم بفضله وحقه وسابقته. وهو ما عبر عنه عمرو بن يثرب الضبي:

نَحْنُ بَنُو ضَبَّةٍ أَعْدَاءُ عَلِيٍّ *** ذَاكَ الَّذِي يُعْرِفُ قَدَمًا بِالْوَصِيِّ (المصدر نفسه، ص ١٤٤)

وهناك ابيات للشاعر عمرو بن احيحة قالها على اثر خطبة الامام الحسن(عليه السلام) يوم الجمل نكتفي بذكر بيت المطلع والخاتمة منها:

حَسَنَ الْخَيْرِ يَا شَبِيهَ أَبِيهِ *** قُمْتَ فِينَا مَقَامَ خَيْرِ خَطِيبٍ

إِنَّ شَخْصًا بَيْنَ النَّبِيِّ - لَكَ الْخَيْرُ *** رُ - وَبَيْنَ الْوَصِيِّ غَيْرُ مَشُوبٍ (المفيد، الجمل، ص ١٧٥)

وهنا نؤكد على اهمية لقب (الوصي) الذي يؤكد الشاعر، وهو يعطينا وعياً ثقافياً شيعياً متأثراً بالامام علي(عليه السلام) لدى البصريين، وهناك عشرات النماذج التي لا يتسع المجال لذكرها هنا.

٢. النثر الفني

وكان للنثر الفني - ولا سيما الخطب والرسائل سواء من الامام علي(عليه السلام)، ومن هو على خطه او من الناكثين ومن هم على خطهم - أثر بالغ في التأثير على الحياة الثقافية، وفي صناعة الرأي العام، أو إثارتها، أو توجيهه.

وقد كان النجاح حليف علي(عليه السلام)، وهو يثير حماس جيشه وأفراد رعيته بخطبه الكثيرة، ورسائله العديدة. ولقد تلمس الناس فيها فهماً ثقافياً للدين، ومعرفة فكرية للعقيدة الإسلامية، ووعياً عميقاً لكل ما يتصل بالشريعة الإسلامية وملاستها لكل مناحي الحياة.

لقد زحرت كتب التاريخ بالخطب التي تمثل علياً(عليه السلام) وخطبه؛ ولهذا فيتعذر علينا ايرادها هنا، ولعل ابرزها خطبته في البصرة (ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص ٢٤٠)، وهي خطبة طويلة كان لها ابلغ الاثر في

الجانب الثقافي.

ولعل الرسائل التي دارت بين علي(عليه السلام) ومعاوية بعد معركة الجمل مباشرة تمثل كثيراً من الحيشيات الثقافية. (انساب الاشراف، ١٤١٧هـ ج٢، ص ٢١١). وكذلك لا بد من الاشارة الى ظاهرة المراسلات العامة والكلام المرتجل الذي يأتي على المنبر عفو الخاطر، ومن الأمثلة على ذلك رسائله الكثيرة التي يبعث بها من الكوفة الى البصرة. (المنقري، وقعة صفين، ص ١١٦ - ١١٧).

وقد برز في النثر الفني منطق الحوار المستند الى الدليل، ومثال على ذلك ما نجده عند زيد بن صوحان (الطبري، ج٤، ص ٤٧٦ — ٤٧٧)، او القعقاع بن عمرو التميمي وغيرهما ممن جاج (المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٨٤ - ٤٨٨) عائشة يوم ألّبت ضد الامام علي(عليه السلام) (الامين، فاقد لسنة الطبع، ج٧، ص ٣٨٥).

٣. النحو واللغة

يعد النحو من الموروث الادبي الذي ولد ونشأ وترعرع في البصرة، وقد سمى بذلك حين امر علي(عليه السلام) ابا الاسود الدؤلي: بوضع النحو (الذهبي، ١٤١٣، ج٥، ص ٢٧٨)، الذي تلقاه عن علي(عليه السلام) (ابن كثير، ١٩٨٦م، ج٨، ص ٣١٢). وهو ما اكدته رواية: عمر بن شبة. (المصدر نفسه). وتكاد الروايات المتعلقة ببداية تأسيس النحو ونقط المصاحف تتفق في مضمونها؛ فتحصر السبب بوقوع خطأ لغوي من متكلم ما او في تلاوة بعض الايات القرآنية؛ وذلك نتيجة لاختلاط العرب الاصليين بغيرهم، ما سبب ضعفاً في اللغة والنحو وقراءة القرآن، وبدأت تظهر اثار ذلك في عموم لغة الخطاب لدى اهل البصرة الجنوبيين ما دعا علياً(عليه السلام) الى ان يأمر بوضع قواعد علم النحو. وكانت ابرز تلك الروايات ما افادت ان علياً(عليه السلام) قد سمع لحناً في العراق فامر ابا الاسود الدؤلي ان يضع للناس النحو، او انه دفع اليه صحيفة فيها بعض من ذلك وامره ان ينحو نحوها ولهذا سمي النحو نحواً.

والمهم في هذا كله هو ان اغلب تلك الروايات تذكر لابي الاسود دوراً هاماً في الجانب الثقافي في البصرة، ومن المعلوم ان ابا الاسود كان من اتباع علي(عليه السلام) وعلى خطه، وهو ما يثبت وجود التشيع الثقافي في زمن مبكر في البصرة. وعلاوة على ذلك فان التشيع المتمثل بعلي(عليه السلام) بهذه الاشارات قد اسس بشكل كبير لجذور ثقافية هناك.

ومن المميزات التي تميّزت بها البصرة أن مدرستها الجامعة كانت أمّاً لأهم المنابع الثقافية وهي اللغة، فأول ما انطلقت المعاجم اللغوية العربية انطلقت من البصرة، وكان الفتح اللغوي الكبير، والمنهجية العلمية الرصينة في إنتاج معجم لغوي غاية في الضخامة وصل إلى ثلاثين مجلداً كبيراً كان مؤلفه العالم المتبحر

اللغوى والنحوى والعروضى والمفكر الخليل بن أحمد الفراهيدى، الذى اختصر بجملة واحدة كل الاختلاف فى تفضيل الإمام على غيره بقوله حين سئل عن دليله على تفضيل الإمام: لا احتياج الكل إليه، واستغنائه عن الكل (الامين، فاقد لسنة الطبع، ج ٦، ص ٣٤٥).

هذا العالم الكبير هو الذى وضع ذلك المعجم وأسماء (العين) الذى رتبته ترتيباً لافتاً ينم عن عمق علمى وإبداع فى التفكير والاستنتاج، إذ وضع المعجم على مبدأ البداية بأعمق الحروف مخرجاً، ثم التدرج من الحنجره، إلى الحلق، إلى الشفتين. وليس هذا وحسب، بل ابتكر نظرية التقليل (مجاهد عبد المنعم الدبوني، ١٩٧١م، ص ٢٨) الرياضيه الحسابيه، وعلى أساسها يمكن أن يصل عدد مفردات اللغة العربيه إلى اثني عشر مليون كلمه! وإن كان بعضها مهماً أو ليس له وجود، وقد أشار إلى ذلك فى طيات كتابه الذى تلف أكثره، ولم يبق منه إلا ثمانية أجزاء لا تزال محط العناية الفائقه باعتبارها أول وأهم وأقدم مصدر لغوى معجمى. وكان الخليل عالماً موسوعياً جمع بين علوم اللغة والعروض والنحو وغيرها: وهو: «الذى بدأ التمدد والتشديد والروم والإشمام، وأنه عمل الشكل الذى على الحروف، وأخذه من صورة الحرف، فالضمه واو صغيرة الصورة فى أعلى الحرف لثلاث تلتبس الواو المكتوبه والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحه ألف مسطوحه فوق الحرف، وجعل الحرف المشدد شبه شين أخذه من أول شديد، فإذا كان خفيفاً جعل شبه خاء أخذه من خفيف.» (يوسف بن محمد البلوى، ٢٠٠٩م، ج ١، ص ١٩٠).

وكيف كان فالاتفاق واقع على ان الخليل هو المنقح للعربيه من البصريين ولا منقح قبله ولا بعده مثله، وكان متأثراً بمدرسه على (عليه السلام) التى أرسى قواعدا فى البصره كما رأينا.

نتائج البحث

بعد البحث والاستقصاء والتحقيق والتتبع في المصادر التاريخية المعتمدة، تبين لنا ان التشيع الثقافي في البصرة كان اصيلاً متجذراً، وقد نشأ ونما وترعرع بعد نهاية معركة الجمل يوم فرغ الامام على(عليه السلام) من القضاء على الناكثين.

وهذا لا يعني ان التشيع الثقافي هناك لم يظهر في زمن مبكر بل انه تدرّج في ما قبل احداث الجمل والنصوص الثرية والشعرية التي اوردناها في الموروث الثقافي الادبي شاهدة على ذلك. وهنا لا بد ان نشير الى النقاط التالية:

١. ان كل الجوانب الثقافية التي اشرنا اليها كان لها رجالها ومؤسسونها من الطراز الاول بدءاً بالامام على(عليه السلام) ومروراً باصحابه من امثال ابن عباس وابي الاسود الدؤلي وغيرهما، وانتهاءً بمن تخرج على ايديهم ممن حمل هذه المسؤولية الكبيرة، وكان كثير منهم من الشيعة.

٢. لقد شكل مجيء الامام على(عليه السلام) الى البصرة نقطة افتراق مفصلية ولحظة انطلاق حضارية في تركيبة الذهنية الثقافية الجديدة التي رعاها تأسيساً وتوجيهاً لتكون ذهنية مستوعبة للانطلاق الثقافي والمعرفي.

٣. استطاع الامام على(عليه السلام) فيما بعد وقعة الجمل ان يؤسس لثقافة ولائبة مغايرة للثقافة السابقة التي وضعت على عهد الخلفاء الثلاثة.

٤. لقد تركت مدة اقامته على(عليه السلام) في البصرة معطيات كبيرة، فكانت مؤثرة جداً في اعادة تشكيل الافكار والقناعات وحتى الولاءات.

٥. ساعدت الاجواء الثقافية التي ظهرت في وقت مبكر في البصرة على ان تكون هذه المدينة أول مركز حضارى اسلامي مهم في بلاد الرافدين، وقد كان لاميير المؤمنين على(عليه السلام) ولرجال البصرة الاوائل المتأثرين به الفضل في نهضتها الثقافية والحضارية والعلمية والادبية.

٦. ان مدينة البصرة العريقة تعد اول مدينة اسلامية احتضنت بواكير علم النحو واللغة والشعر والنثر الفني والعروض والتاريخ بمؤرخيه ونصوصه التاريخية؛ ليمثل جزءاً من موروثها الثقافي بشكل عام، وقد حمل رجال من اتباع على(عليه السلام) ومن المحسوبين على التشيع يومذاك على عواتقهم جزءاً كبيراً من كل ذلك، وهذا يدل على حضور التشيع الثقافي هناك.

٧. ان الموروث الديني لم يكن لينطلق لولا وجود الامام على(عليه السلام) معلماً لاجيال المسلمين حاثاً اياهم على التعلم وتقييد العلم بالتدوين، ولو لا الفتح العلمي والثورة المعرفية التي قادها الامام على(عليه السلام) لما كان للمسلمين هذا التراث العلمي الهائل كما مضمونا.

٨. لقد شكل الموروث الادبي عاملاً رئيساً في الكشف عن التشيع الثقافي في البصرة، وقد كان لحضور الامام على(عليه السلام) الادبي دور لافت في التأسيس له.

١٥٠ مطالعات تاریخی جهان اسلام

سال نهم، شماره ١٩، پاییز ١٤٠٠

قائمة المصادر

١. ابن ابی الحديد، عز الدين (١٩٥٩م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى.
٢. ابن اعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم (١٩٩١م)، الفتوح، تحقيق: علي شبري، بيروت: دار الأضواء، الطبعة الأولى.
٣. ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (١٩٦٥م)، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر.
٤. ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (١٩٨٩م)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت: دار الفكر.
٥. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي (١٤٠٩ق)، القصاص والمذكرين، بيروت: المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية.
٦. ابن الطقطقي، محمد بن علي (١٩٩٧م)، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبدالقادر محمد مايو، بيروت: دار القلم العربي.
٧. ابن الفقيه، ابو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (١٩٩٦م)، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى.
٨. ابن خلكان، احمد بن محمد (٢٠٠١م)، وفیات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، لبنان: دار الثقافة، الطبعة الثانية.
٩. ابن خياط العصفري، أبو عمرو خليفة (١٩٩٥م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: فواز، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى.
١٠. ابن عبد ربه الأندلسي، احمد بن محمد (١٤٠٤ق)، العقد الفريد، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى.
١١. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (١٩٩٢م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية.
١٢. ابن كثير، اسماعيل بن عمر (١٩٨٦م)، البداية والنهاية، بيروت: دار الفكر.
١٣. الأمين، محسن (فاقد لسنة الطبع)، اعيان الشيعة، تحقيق: حسن الامين، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
١٤. البصري، محمد بن سعد (١٤١٤ق/١٩٩٣م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، الطائف: مكتبة الصديق، الطبعة الأولى.
١٥. البلاذري، ابو الحسين احمد بن يحيى (١٩٩٦م)، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى.
١٦. — (١٩٧٤م)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، بيروت: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، الطبعة الأولى.
١٧. — (١٩٥٩م)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، مصر: دار المعارف.

١٨. — (١٤٠٣ق/١٩٨٣م)، فتوح البلدان، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٩. — (١٩٨٨م)، فتوح البلدان، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
٢٠. البلوي الملقى ابن الشيخ، أبو الحجاج يوسف بن محمد (٢٠٠٩م)، كتاب ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة، بيروت: الطبعة الأولى.
٢١. بلات، شارل (١٩٦١م)، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة: ابراهيم الكيلاني، دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.
٢٢. الحديثي، خديجة، المدارس النحوية، الاردن، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار الامل.
٢٣. الدبوني، مجاهد عبد المنعم، ١٩٧١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (١٤١٣ق/١٩٩٣م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية.
٢٥. الزمخشري، ابوالقاسم محمود بن عمر (١٤١٢ق/١٩٩٩م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، بيروت: الطبعة الأولى.
٢٦. السبحاني، جعفر (١٤١٦م)، بحوث في الملل والنحل، قم: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسن بقم المقدسة، الطبعة الثالثة.
٢٧. الشجري، يحيى بن الحسين (٢٠٠١م)، الأمل في الخمسية، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى.
٢٨. الشيرازي، محمد، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣، تقريب القران الى الازهان، دار العلوم، الطبعة الاولى.
٢٩. الصدر، حسن (فاقد لسنة الطبع)، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، طهران، منشورات الاعلمي.
٣٠. الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (١٩٦٧م)، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار التراث، الطبعة الثانية.
٣١. الامام علي(عليه السلام) (١٤١٢ق)، نهج البلاغة، جمع: الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، قم المقدسة: دار الذخائر، الطبعة الأولى.
٣٢. العسقلاني، احمد بن علي بن حجر (١٩٩٥م)، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
٣٣. العلوي، علي بن محمد (١٤٠٩ق)، المجدي في انساب الطالبين، تحقيق: احمد المهدي، قم المقدسة: سيد الشهداء، الطبعة الأولى.
٣٤. فرج الله، عبد المجيد، فرج الله، حسين، فرج الله، احمد (١٤٢٥ق)، موسوعة النبي واهل بيته في الشعر العربي، اشراف ومراجعة: عبد النبي الدرازي، قم المقدسة: دار الادب الاسلامي، الطبعة الاولى.
٣٥. القالي، اسماعيل بن القاسم (٢٠٠١م)، الامالي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى.
٣٦. المسعودي، علي بن الحسين (١٤٠٩ق)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، قم المقدسة: دار الهجرة، الطبعة الثانية.

۳۷. — (۱۳۹۳ق/۱۹۷۳م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقیق: محمد محی الدین عبدالحمید، بیروت: دار الفکر، الطبعة الخامسة.
۳۸. المفید، محمد بن محمد (۱۴۱۴ق/۱۹۹۳م)، الامالی، تحقیق: حسین الاستاذ ولی وعلی اکبر الغفاری، بیروت: دار المفید للطباعة والنشر والتوزیع، الطبعة الثانية.
۳۹. — (مجهول السنة)، الجملی، قم المقدسة: منشورات مكتبة الداوری.
۴۰. المنصوری، نزار (۲۰۰۴م)، النصره لشیعة البصرة، القاهرة: مكتبة مدبولی، الطبعة الثانية.
۴۱. المنقري، نصر بن مزاحم (۱۳۸۲ق)، وقعة صفین، تحقیق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الثانية.
۴۲. متز، آدم (فاقد لسنة الطبع)، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله الى العربية: محمد عبد الهادی ابو ريدة، بیروت: دار الكتاب العربی، الطبعة الخامسة.
۴۳. النصر الله، جواد (۲۰۱۴م)، امیرالمؤمنین الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام) فی رحاب البصرة، مراجعة وتدقيق: مرکز تراث البصرة، البصرة: الطبعة الثانية.